الّا ان عامل المشكلة الامنية والمصير المشترك يبقى الجامع المشترك الذي يجمع فيما بينهما، الى درجة الالتصاق. فالحقيقة المرّة التي يدركها كلا النظامين، كما يدركها الآخرون، هي ان الكيانين المصطنعين اللذين اقاماهما بالدم والحديد على اراضٍ أجنبية، وعلى حساب حقوق سكان البلاد، هما وجود يتناقض مع سنن الطبيعة ومجرى التاريخ، على الرغم من كل ما يحدثانه من ضجيج حول «الشرعية»، و«الحق التاريخي» المزعوم، والاعتراف الدولي المشبوه. فهناك، اذاً، أزمة نفسية حادّة تجمع فيما بين المستوطنين اليهود في فلسطين والمستوطنين الاوروبيين في جنوب افريقيا، بسبب الجوامع المشتركة المتمثلة في انهما كيانان استيطانيان استعماريان، وفلسفتاهما التفوّق العنصري، ورسالتاهما الحضارة الغربية، وعيشهما قائم في محيط عدائي متحفّز، وشعورهما بالعزلة، والخوف ممّا يضمره المستقبل.

هذه الأزمة النفسية تظهر بأشكال مختلفة الى السطح، كالتطرّف الهمجي في العنصرية، والامعان في اضطهاد اصحاب الارض والحق، وارتكاب المزيد من الجرائم البشعة. كتب الصحفي الاسرائيلي يورام بيري، في دراسة قام بها للمقارنة بين أوضاع اسرائيل وجنوب افريقيا، في ما يتعلق بمظاهر العنصرية: «شعرت، في البداية، بصدمة، عندما فاجأني صديق بريطاني يعيش في جنوب افريقيا منذ عدة سنوات وهو يعدّد أوجه الشبه بين اسرائيل ونظام جنوب افريقيا. وقال: 'اذا هاجرت الى اسرائيل، فقد يأتي ابني الذي لا يتجاوز عمره، الآن، خمس سنوات، في يوم من الايام، بعد عشر سنوات، أو أكثر، ليقول لي كما قلت، قبل أيام، لوالدي: هل عرفت يا أبي ما يحدث هنا؟ لماذا أتيت بنا الى اسرائيل؟' ». وأضاف بيري انه، منذ ذلك اليوم، بدأ يهتم بمتابعة أوضاع جنوب افريقيا، ومقارنتها بأوضاع اسرائيل، فأذهله ما اكتشف من أوجه الشبه الكثيرة بين الوضعين.

التعاون العسكري بين اسرائيل وجنوب افريقيا

العلاقات الفضفاضة القديمة بين اسرائيل وجنوب افريقيا، التي تحوّلت الى علاقات وثيقة في مختلف المجالات، باتت، الآن، تعاوناً عاماً، وشاملاً، في المجالات العسكرية أيضاً. فالاستراتيجية العسكرية لنظام جنوب افريقيا وضعت أُسسها بمساعدة كبار الضباط الاسرائيليين؛ وقواتها المسلّحة مجهّزة بأنواع مختلفة من الاسلحة، والمعدّات، الاسرائيلية؛ ووسائل القمع التي تطبّقها سلطاتها ضد السكان الافريقيين مقتبسة من تجارب اسرائيل القمعية ضد الشعب الفلسطيني.

قبل الدخول في تفاصيل التعاون العسكري الوثيق حالياً، والذي يوصف، احياناً، بالتحالف العسكري بين النظامين، يستحسن القاء نظرة سريعة على التطورات السياسية التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، نظراً الى اهميتها بالنسبة الى العلاقات الحاضرة بين اسرائيل وجنوب افريقيا.

كانت جنوب افريقيا، خلال سنوات حكم سمطس وحتى الحرب العالمية الثانية، تتمتّع بحماية بريطانيا لحدودها البرية وطرقها البحرية حول رأس الرجاء الصالح، مقابل التزام حكومة جنوب افريقيا بتقديم المساعدات المادية، والعسكرية، بما في ذلك الاشتراك الفعلي بقوات عسكرية، في حالة دخول بريطانيا حرباً ضد أية دولة أخرى. بعد ان غابت الشمس عن الامبراطورية البريطانية وقيام رابطة الشعوب البريطانية (الكومنولث)، اصبحت جنوب افريقيا، شأنها شأن باقي المستعمرات البريطانية السابقة، عضواً فعّالاً في الكومنولث.

ان سياسة الفصل العنصري، التي اصبحت السياسة الرسمية بموجب التشريعات